No 4A العدد4A
2026 آب Aug 2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن جامعة ساوة الاهلية

اشكالية " المس" في قوله تعالى: ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ دراسة في ضوء الاتجاهات التفسيرية

م.د عبدالله علي هاشم
asasg88.aa@gmail.com
م.د منتظر فاضل طاهر
muntadar.fadhil@iku.edu.iq
كلية الامام الكاظم(ع) للعلوم الاسلامية/ اقسام ذي قار

ملخص:
يتناول هذا البحث إشكالية دلالة كلمة "المس" في الآية الكريمة (لا يمسه إلا المطهرون) من سورة الواقعة، في ضوء النظر في التفسيرات المختلفة التي تباينت في تحديد المقصود منها؛ إذ تتراوح بين الفهم الحسي للمس، والفهم المعنوي الذي يشير إلى إدراك معاني القرآن، أو الجمع بين المعنيين معًا, وقد استخدم البحث المنهج التحليلي المقارن لدراسة آراء أبرز مفسري الجمهور و مدرسة اهل البيت(ع)، مع توضيح المعنى اللغوي لكلمة "المس"، وارتباط ذلك بسياق الآيات المحيطة. وانتهى البحث إلى أن تباين التفسيرات يعود إلى اختلاف المناهج في استيعاب مستويات الدلالة القرآنية، وأن الآية تحمل معاني تتجاوز الحكم الفقهي لتشمل بيان جلال القرآن الكريم ومقاماته المعرفية، مما يبرز غنى المعنى وعمق الخطاب القرآني.
الكلمات المفتاحية : المس- المطهَّرون- الاتجاه- التفسير-القران الكريم

The Problematic Meaning of "Touch" in the Qur'anic Verse:"None Touch It Except the Purified" (Qur'an 56:79): A Study in Light of Exegetical Approaches

Assistant Professor Dr. Abdullah Ali Hashim
Assistant Professor Dr. Muntadhar Fadhil Tahir

Abstract
This study examines the interpretive problem surrounding the meaning of the word **"touch" (mass)** in the Qur'anic verse, **"None touch it except the purified"** (Qur'an 56:79), by exploring the major exegetical approaches that differ in identifying its intended meaning. These interpretations range from the literal, physical sense of touching to the metaphorical sense referring to the comprehension of the Qur'an's meanings, while some exegetes reconcile both interpretations. The study employs a comparative analytical method to examine the views of leading Sunni exegetes and scholars of the Ahl al-Bayt (peace be upon them), with particular attention to the lexical meaning of the term *mass* ("touch") and its relationship to the surrounding Qur'anic context. The study concludes that the diversity of interpretations stems from differences in exegetical methodologies and their approaches to the multiple levels of Qur'anic meaning. It further argues that the verse conveys meanings extending beyond a merely legal ruling to emphasize the majesty of the Qur'an and its profound epistemological dimensions, thereby demonstrating the richness of its meaning and the depth of Qur'anic discourse.
Keywords: Touch (*Mass*); the Purified (*al-Muṭahharūn*); Exegetical Approaches; Qur'anic Exegesis (*Tafsīr*); the Holy Qur'an.

مقدمة البحث
القرآن الكريم يشكل الأساس المعرفي في الإسلام، لذا فإن دراسة ألفاظه وتراكيبه ومعانيه كانت من أبرز مجالات التفسير؛ حيث تحمل دلالات كثير من آياته ما يتجاوز المعنى الظاهري إلى مستويات أوسع تتعلق

ببنية الخطاب القرآني وأهدافه المعرفية والهداية. ومن بين الآيات التي نالت اهتمام المفسرين وتعددت فيها طرق الفهم والتأويل، قوله تعالى :﴿**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ۝ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ**﴾]الواقعة: 77-79]، وذلك لما تحتويه من تعبير مكثف أثار تساؤلات حول مرجع الضمير في "يمسه"، والمقصود بالمس، ومن هم المطهرون، وكيف ترتبط الآية بسياقها العام في تكريم القرآن وبيان مكانته.

هذا التركيب الدلالي أسهم في تنوع الاتجاهات التفسيرية لفهم الآية. فذهب بعض المفسرين إلى تفسير المس بمعناه الحسي، وربط الآية بحكم مس المصحف واشتراط الطهارة له، مما أبرز الاتجاه الفقهي التشريعي. واتجه فريق آخر إلى تفسيرها في إطار الغيب، فجعلوا الكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ أو ما يشابهه، والمطهرين هم الملائكة، مما أدى إلى ظهور القراءة الغيبية التي تؤكد حفظ القرآن في عالمه العلوي. لكن هناك طائفة من المفسرين تجاوزت هذين المستويين إلى قراءة أعمق، تنظر إلى الآية كدلالة على أن للقرآن مرتبة خفية لا تصل إليها حقائقه ولا تُكشف أسراره إلا لمن حصل على طهارة خاصة تؤهله لتلقي معانيه الباطنة ومراتبه العليا.

مشكلة البحث تتمثل في التساؤل عن حدود الدلالة التي يحتملها قوله تعالى: "لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ"، وهل المراد هو المس الحسي للمصحف، أم الوصول إلى الكتاب المكنون في الغيب، أم أن الآية تفتح الباب لدلالة أعمق تتعلق بمساس حقيقة القرآن وإدراك باطنه؟ وما الأسس اللغوية والتفسيرية التي يمكن أن تدعم هذا الفهم؟ وهل تمثل القراءة المعرفية توسعاً مشروعاً في دلالة الآية، أم أنها تحتاج إلى ضبط وفق منهج التفسير وقواعده؟

ينطلق البحث من فرضية مفادها أن الآية الكريمة تحتمل، في ضوء سياقها القرآني وتركيبها اللغوي ومجموع التفاسير الواردة فيها، دلالة تتجاوز حدود المعنى الفقهي الظاهر، لتشير إلى أن حقيقة القرآن لها مرتبة خفية لا ينالها إلا من استعد بالطهارة التي تؤهله لفهمها, أما منهج البحث فيعتمد على المنهج التحليلي التفسيري، من خلال جمع النصوص التفسيرية المتعلقة بالآية وتحليلها ومقارنتها، مع الاستفادة من المنهج المقارن لبيان الفروق بين الاتجاه الفقهي والغيبي والمعرفي, وقد تم تنظيم البحث في مبحثين رئيسيين: الأول مخصص لبيان معنى المس في اللغة والاستخدام القرآني، والثاني لعرض الاتجاهات التفسيرية في فهم الآية، ثم التركيز على القراءة التفسيرية المعمقة وتحليل أبرز نصوصها، وصولاً إلى استخلاص الدلالات المعرفية التي تحملها الآية والمتعلقة بحقيقة القرآن الكريم وأهلية تلقيه.

المبحث الاول: معنى المسّ في اللغة والاستعمال القرآني

اولا: **معنى المسّ في اللغة**

تدل مادة (م س س) في أصلها اللغوي إلى معنى اللمس والملامسة والاتصال' ويذكر مؤلفو المعاجم أن جذرها يدل على تحسس الشيء باليد وملامسته, وجاء في معجم مقاييس اللغة: ((مسّ : أصل صحيح واحد يدلّ على جسّ الشيء باليد, ومسسته أمسّه, وربّما قالوا مسست أمسّ, والممسوس : الّذى به مسّ, كأنّ الجنّ مسّته. والمسوس من الماء : ما نالته الأيدي)) (ابن فارس، 1999، 5/ 271).

ثانيا: الفرق اللغوي لـ(اللَّمْسِ و الْمَسِ):

تنوعت الآراء حول دلالة كلمتي اللمس والمس، فمنهم من اعدهما مترادفين لا فرق بينهما، ومنهم من رأى وجود فرق دلالي يفرق بين اللفظين. ويمكن عرض هذه الأقوال على الشكل التالي:

ذهب بعض أئمة اللغة إلى أن لفظي اللمس والمس مترادفان، فلا فرق بينهما في المعنى، وإن اختلفا في الصيغة اللفظية فقط. وقد ورد هذا الرأي في القاموس:((لمسه: مسه بيده ومسسته أي لمسته)) (الفيروزآبادي، 1999م, ٢/٢٤٩) , وقال ابن منظور : ((وقال ابن دريد كل ماس لا مس. وقال الفارابي : اللمس هو المس. وقال ابن الإعرابي في التهذيب: اللمس يكون مس الشيء)) (ابن منظور, 2003م, ١٣/ ٢٣٢).

وكما قرر الزبيدي هذا المعنى بقوله: ((قيل: اللمس الجس، وقيل: المس مطلقا، ويدل له قول الراغب المس: إدراك بظاهر البشرة كاللمس . وقيل : اللمس والمس متقاربان ولا مسه: مثل لمسه))(الزبيدي, 1424هـ, ٨/٤٦٤).

يمثل هذا التوجه وفق نظرة لغوية العامة، تميل إلى تجنب التمييز بين الكلمات المتقاربة في المعنى، وتعد "اللمس" و"المس" مترادفتين أو قريبتين في الدلالة.

No 4A العدد4A
2026 آب Aug 2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

ذهب أبو هلال العسكري في اتجاه مغاير، إذ رأى أن بين الكلمتين فرقاً دلالياً جلياً , في كتابه الفروق اللغوية بما نصه : ((الفرق بين اللمس والمس : أن اللمس يكون باليد خاصة ليعرف اللين من الخشونة والحرارة من البرودة، والمس يكون باليد وبالحجر وغير ذلك ولا يقتضي أن يكون باليد ولهذا قال تعالى مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ , وقال : وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُر , ولم يقل يلمسك)) (العسكري, 1412هـ, ٤٦٨) .

من هذا التوجه يتبين أن:

١) اللمس أكثر خصوصية، حيث يتم عادة باليد ويهدف إلى الإحساس المباشر.

٢) المس أكثر عمومية، إذ يمكن أن يحدث دون استخدام اليد، ولا يُشترط فيه القصد الحسي.

وهذا التوجه يعتمد على الاستعمال في القرآن الكريم، الذي يظهر اتساع معنى "المس" مقارنة باللمس.

أما في الاصطلاح فهناك فرق واضح واكثر دقة عند السيد عبد الله شبر: ((اللمس هو الإصابة بما به إحساس من البدن، بقصد الإحساس للملموس لا خصوص اللمس باليد، ولا مطلق المس، نعم كثيراً من موارد اللمس ما يكون باليد، باعتبار انها آلة عادية، وأقوى إحساساً، كما ان المس هو مطلق الإصابة لا بقصد الإحساس))(شبر، 1966، المقدمة).

المطلب الثاني : تصنيف لدلالات المسّ في ضوء الاستعمال القرآني

يُعد الكشف عن الدلالة القرآنية للألفاظ من الركائز الأساسية في التفسير اللغوي، ذلك أن أي تغيير في معنى الكلمة يؤثر بشكل مباشر على البنية التفسيرية. ومن بين الألفاظ التي شغلت حيزًا واسعًا من النقاش في القرآن الكريم، نجد لفظ "المسّ" وما يجاوره من لفظ "اللمس"، حيث اختلف علماء اللغة بين من يرى أنهما مترادفان، ومن يرى وجود فاصل دلالي بينهما.

وفي هذا الإطار، اخترنا في كتاب "تحقيق كلمات القرآن الكريم" للمصطفوي لما يتميز به من تصنيف دقيق وأسلوب تحليلي في معالجة دلالة لفظ "المسّ" المستخدم في القرآن، حيث لا يكتفي بجمع المعاني اللغوية فحسب، بل يتتبع اللفظ في سياقاته المتنوعة داخل النص القرآني.

ويرى المصطفوي أن معنى "المسّ" ليس ثابتًا جامدًا في كل المواضع، بل هو معنى ديناميكي يتشكل وفق السياق القرآني الذي يظهر فيه، مع التأكيد على وجود أصل مشترك يجمع كل الاستعمالات، وهو فكرة التلامس المباشر أو القرب الشديد، سواء كان هذا التلامس ماديًا أو معنويًا.(مصطفوي , 1385هـ ش, 11/114-118).

أولاً: المسّ بدون قيد

هو المسّ الذي يظل على معناه الواسع دون تحديد ما إذا كان مادياً أو معنوياً, كمثال، قوله تعالى: {فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (78) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ } [الواقعة : 78، 79], يرى مصطفوي أن المقصود هنا هو المسّ العام، فمن الممكن أن يكون باليد أو الجسد، ومن الممكن أن يكون بالقلب، وقد يحدث بإرادة أو بدونها. لكنه يضيف أن المعنى الظاهر في الآية هو المسّ القلبي الذي يكون بإرادة وشعور.

ثانياً: المسّ المادي

هذا النوع يتعلق بالأجسام أو الاتصال البدني المباشر. كما في- {فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا} [المجادلة : 4], يرى مصطفوي أن "التماس" هنا هو كناية عن الجماع، لكنه يؤكد أن أصل مادة المسّ لا تعني الجماع بذاتها، بل استعملت هنا كدلالة غير مباشرة. الخلاصة أن المسّ قد يظهر في المجال المادي، لكنه لا يفقد معناه الأصلي العام، بل يحمل على معنى خاص بوجود قرينة.

ثالثاً: المسّ المعنوي

هو المسّ الذي لا يمكن تفسيره بالملامسة الجسدية، بل يقصد به التأثير أو الإصابة في مستوى غير مادي. مثاله قوله تعالى: كما في - {فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ } [ق : 38] ,هذا المسّ لا يمكن أن يكون جسدياً لأن التعب والإعياء المنفيين عن الله ليسا من صفات الأجسام، فيكون المسّ هنا معنوياً.

رابعاً: المسّ الجامع للمادي والمعنوي

هذا النوع يحتمل الضرر في كلا النوعين المادي والمعنوي. مثاله قوله تعالى: "كما في {وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ } [الأنعام : 17] , الضر هنا عند مصطفوي أوسع، فقد يكون مادياً في الجسد أو المال، أو معنوياً في النفس أو الحال,

خامساً: المسّ في عوالم الآخرة

من أمثلته قوله تعالى: كما في- {لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً } [البقرة : 80]. {ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ} [هود : 48]. يقرر مصطفوي هنا أن المسّ يقع بما يناسب عالم الآخرة، أي أن مفهوم المسّ محفوظ، لكن كيفية تحققه تكون بما يليق بتلك العوالم.

سادساً: المسّ في الخير والشر

من أمثلته قوله تعالى: وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا } [المعارج : 21]. {إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ} [آل عمران : 120].يقرر مصطفوي أن الإصابة واللمس لا يختلفان سواء كان المتعلق خيراً أو شراً , {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا} [يونس : 12]. {وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ} [الروم : 33]. {وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ} [الإسراء : 67].

سابعاً: المسّ في سياق الضر وكشف حقيقة الإنسان

يربط مصطفوي بين آيات تتحدث عن مسّ الضر مثل: "وإذا مس الإنسان الضر دعانا" و"وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم" و"وإذا مسكم الضر في البحر". يستنتج أن المسّ هنا يكشف حقيقة افتقار الإنسان، فعندما يصيبه الضر في جسده أو ماله أو حاله، يرى نفسه ضعيفاً وعاجزاً ويلجأ إلى الله، ثم إذا زال الضر وعاد النفع نسي حالة الافتقار. ويعزز ذلك بآيات مثل: {وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ} [هود : 10]. {وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي ... وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ} [فصلت : 50، 51].

يؤصل مصطفوي لمادة (مس) في جذر دلالي واحد هو وقوع التماس مع الشيء، دون حصر ذلك في اللمس الحسي المباشر أو الاقتصار على اليد، بل يتسع عنده ليشمل كل اتصال يحدث بأي شكل من أشكال التماس، سواء صاحبه القصد والإحساس أم لم يصاحبه. انطلاقاً من هذا الأصل العام، يوسع معنى المس ليشمل أنواعاً متعددة: المس المطلق، المس المادي، المس المعنوي، المس الذي يجمع بين الحسي والمعنوي، المس في عوالم الآخرة، والمس المرتبط بالخير أو بالشر. وبناءً على هذا الفهم، يفسر قوله تعالى: (لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) تفسيراً لا يقتصر فيه المس على التناول الحسي للمصحف، بل يجعله قابلاً للدلالة على مس أوسع، وإن كان الراجح عنده هو المس القلبي المقترن بالإرادة والإحساس، أي الإدراك المعرفي لجوهر القرآن، لا مجرد اللمس الجسدي له.

المبحث الثاني : الاتجاهات التفسيرية في فهم الآية : ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾

يمكن مقاربة فهم الآية الكريمة: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ في ضوء ملاحظة أن المفسرين لم يتفقوا على تفسير واحد لها، بل تعددت آراؤهم تبعاً لتحديدهم لمن يعود عليه الضمير في "يمسه"، وكذلك بناءً على تفسيرهم لمعنى "المس" و"المطهرون". وقد نشأ عن هذا الاختلاف قراءات تفسيرية عدة, قراءة وجهت الآية توجيهاً فقهياً ظاهرياً، ففسر المس بمعنى اللمس الحسي للمصحف، وعد المطهرين هم الذين تطهروا من الأحداث، وبذلك عدت الآية دليلاً على اشتراط الطهارة لمس المصحف, وقراءة صرفت المعنى إلى الجانب الغيبي التكويني، فجعل الضمير عائداً إلى اللوح المحفوظ، وفسر المطهرين بأنهم الملائكة أو من طهرهم الله تعالى، فخرجت الآية من الحكم الفقهي إلى بيان صيانة القرآن في عالمه العلوي عن ان تناله الايادي الدنسة , وآخر نظر إلى الآية نظرة معرفية معمقة، حيث فسر المس بأنه إدراك الحقائق القرآنية والوصول إلى معانيها العميقة، وجعل المطهرين هم الذين نالوا طهارة وجودية وعلمية تؤهلهم لتلقي الأسرار الباطنية, وعلى هذا الأساس، يمكن تصنيف الاتجاهات التفسيرية للآية إلى ثلاثة أقسام: اتجاه فقهي تشريعي يركز على الحكم الظاهري، واتجاه غيبي تكويني يهتم بالصيانة الإلهية، واتجاه معرفي عميق يتعلق بفهم أسرار القرآن الكريم.

اولا : الاتجاه الحسي الفقهي

يتجه بعض المفسرين والفقهاء إلى تفسير قوله سبحانه: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: 79], على المعنى المادي الظاهر، فيرون أن المقصود بالمس هنا هو اللمس باليد، وأن المطهرين هم من زالت عنهم النجاسة الكبرى أو الصغرى. بناءً على هذا الفهم، يصبح النص القرآني دليلاً على وجوب الطهارة عند التعامل المباشر مع المصحف.

واعتمد جمهور الفقهاء على هذا التفسير ليستنبطوا منه حكماً شرعياً يمنع من لمس المصحف لمن كان على غير طهارة. ورغم أن هذا الرأي ليس التفسير الوحيد الممكن للآية، إلا أنه الأكثر شيوعاً وانتشاراً في كتب الفقه، إذ تحول من مجرد دلالة تفسيرية إلى قاعدة فقهية راسخة تتعلق بأحكام الطهارة والمصحف.

من الفقهاء والمفسرين الذين يتبنون هذا الرأي، فإن هذا المذهب يمثل قول جمهور الفقهاء بشكل عام، وقد روي عن مجموعة من السلف. كما أن الأئمة الأربعة عند مدرسة الجمهور ذهبوا إليه في الرأي المشهور عنهم بشأن حكم لمس المصحف، رغم أن بعضهم لا يعتبر الآية وحدها دليلاً كافياً، بل يضيفون إليها كتاب عمرو بن حزم وأخبار الصحابة,

ونص على هذا المعنى جمع من التابعين ومَن تلاهم، مثل عطاء وطاوس وسالم والقاسم والشعبي والحسن وسواهم، وذلك في الاحتجاج على عدم جواز مس المحدث للمصحف. ورد ذلك في كتاب المغني لابن قدامة ((ولا يمس المصحف إلا طاهر يعني طاهرا من الحدثين جميعا . روي هذا عن ابن عمر والحسن وعطاء وطاوس والشعبي والقاسم بن محمد وهو قول مالك والشافعي وأصحاب الرأي ، ولا نعلم مخالفا لهم إلا داود)) (ابن قدامة، 1985، 1 /99).

وتناول البغوي في تفسيره الآراء المختلفة حول الآية، ثم قدم الرأي الفقهي بوضوح, من أبرز ما يُروى عنه انه: يرى فريق من العلماء أن معنى الآية هو أنه لا ينبغي لمس المصحف إلا لمن كانوا طاهرين من النجاسة والجنابة، والظاهر من الآية يحمل طابع النفي لكنه يعبر عن نهي، ويؤكد هؤلاء أن الجنب والحائض ومن عليه حدث أصغر لا يجوز لهم حمل المصحف أو لمسه. (البغوي، 1997، 8/ 23).

وينعكس هذا على الاستقرار الفقهي لهذا الاتجاه في التراث السني, يؤكد هذا المعنى ما ورد في فتوى ابن باز في فهمه لمعنى قوله تعالى: (لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) , يقول :((الصواب أن المراد بذلك: المطهرون من الأحداث، من الجنابة والحدث الأصغر، فلا يمس المصحف إلا المطهر الذي على طهارة من الحدث الأصغر والأكبر جميعًا)), (موقع الشيخ ابن باز، د.ت.).

ثانيا: الاتجاه الغيبي

يتجه بعض المفسرين إلى تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: 79], على أنه إشارة إلى مكانة القرآن في العالم الغيبي، وليس حكماً يتعلق بالمصحف المادي في حياتنا الدنيا, فالكتاب المكنون يُقصد به اللوح المحفوظ أو أي سجل محفوظ في السماء، والمطهرون هم الملائكة، والمس هنا يعني الوصول لذلك الكتاب أو لمسه في موضعه العلوي.

سُمّي هذا التوجّه "غَيبيّاً" لأنّه يتناول الآية في سياقها الماورائيّ، لا في إطار حياة الناس العملية, فهو ينظر إلى عناصر الآية الثلاثة – القرآن الكريم، الكتاب المكنون، واشتراط الطهارة – بوصفها تعد مكانة القرآن في عالمه العلويّ، حيث يكون محفوظاً ومصوناً، ولا يصل إليه إلّا من طهّرهم الله كالملائكة. بناءً على هذا التفسير، لا يُنظر إلى مسألة المسّ كحكم فقهيّ محدود، وإنّما كجزء من صورة أوسع تهدف إلى إبراز التعظيم للقرآن.

ومن اراء القائلين من المفسرين بالاتجاه الغيبي , الفخر الرازي , اذ يقول: ((وعلى هذا يتأيد ما ذكرنا من وجه آخر، وذلك من حيث إن بعضهم كان يقول: هو من السماء ينزل به الجن، ويُلقيه عليه كما كانوا يقولون في حق الكهنة، فإنهم كانوا يقولون: النبي صلى الله عليه وسلّم كاهن، فقال: لا يمسه الجن، وإنما يمسه المطهرون الذين طُهّروا عن الخبث، ولا يكونون محلًّا للإفساد والسفك، فلا يفسدون ولا يسفكون، وغيرهم ليس بمطهر على هذا الوجه، فيكون هذا ردًّا على القائلين: بكونه مفتريًا، وبكونه شاعرًا، وبكونه مجنونًا بمس الجن، وبكونه كاهنًا، وكل ذلك قولهم والكل رد عليهم بما ذكر الله تعالى ها هنا من أوصاف كتاب الله العزيز)) ,(الرازي، 1997، 29 /170).

عادة ما يحرص الرازي على تحليل الأوجه التفسيرية وبيان ما تقتضيه السياقات. في هذا الموضع، يتسق منهجه مع كون الحديث موجهاً لتعظيم القرآن من خلال الإشارة إلى مكانته في الكتاب المكنون، وأن المطهرين المقصودين هم الملائكة الذين خصوا بالاطلاع عليه. هذا التفسير يتوافق مع قراءته للسياق على أنه سياق تعظيم وتنزيه، لا سياق أحكام الطهارة. وبشكل عام، يُصنف الرازي ضمن من أكدوا الوجه الغيبي أو عدوه من أقوى تفسيرات الآية، وإن كان قد عرض معه الأوجه الأخرى,(الرازي، 1997، 29 /170).

ومن الشواهد الاخرى ما ذكره محمد الطاهر بن عاشور معلقًا على قول الإمام مالك: ((يريد أن المطهرون (هم السفرة الكرام البررة، وليسوا الناس الذين يتطهرون))، (ابن عاشور , 1984, 27/ 334)، وقال في موضع آخر: ((المطهرون: الملائكة، والمراد الطهارة النفسانية وهي الزكاء، وهذا قول جمهور المفسرين))، (ابن عاشور , 1984, 27/ 334),من خلال هذه العبارة يتضح أن ابن عاشور يربط المسّ بعالم الغيب والكتاب المكنون، ويفسّر الطهارة الواردة فيها على أنها طهارة ذاتية نفسية وليست طهارة حدثية فقهية, وبناءً على ذلك، يندرج تفسيره ضمن الاتجاه الذي يعتبر الآية دليلاً على الصيانة التكوينية للقرآن، وليس على الحكم الشرعي المتعلق بمسّ المصحف.

ثالثا: الاتجاه المعرفي العميق

اتجاه تفسيري ينظر إلى أن قوله سبحانه: "لا يمسه إلا المطهَّرون" يحمل، ضمن طبقاته الرمزية أو الإشارية، دلالة على أن الجوهر الخفي للقرآن الكريم، ومداركه العميقة، وأسسه المعرفية، لا يصل إليها أحد بتمامها، ولا يدركها كما ينبغي، إلا من بلغ درجة الطهارة في الباطن والعلم والوجود، فأصبح أهلاً للتماس معانيه وحقائقه، لا مجرد ظواهر حروفه وأشكاله.

يرى أتباع هذا المنهج أن القرآن الكريم ليس مجرد كلمات عربية أُوحيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، بل له وجود سابق في علم الله تعالى، يحتل منزلة عليا في اللوح المحفوظ، ثم هبط إلى عالم اللفظ والتعبير, وقد أشار القرآن إلى هذه المرتبة في أكثر من موضع؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ۝ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: 77-79]، وقوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [البروج: 21-22]، وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: 3-4]. فهذه الآيات – في نظرهم – تكشف عن أن للقرآن مرتبتين: مرتبةً علويةً غيبيةً في أمّ الكتاب والكتاب المكنون واللوح المحفوظ، ومرتبةً نازلةً تجلّت في اللفظ العربي المنزل لهداية الناس.

قرر العلامة الطباطبائي هذا المعنى لدى تناوله لآيات سورة الواقعة، حيث أوضح أن قوله تعالى﴿ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ يشير إلى وصف القرآن بكونه محفوظاً ومصوناً في منزلته السماوية، وأما قوله ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ فلا يقصد به المس الجسدي فحسب، بل المراد في سياق إجلال القرآن هو الوصول إلى حقيقته ومعرفته في مقامه المخزون. كما ربط هذه الآية بقوله تعالى ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ ليبين أن القرآن قبل أن ينزل كقرآن عربي كان قائماً في منزلة أسمى، يتصف بالعلو والحكمة.(الطباطبائي, 1412هـ، 137/19) وبناءً على ذلك، يرى أصحاب هذا التوجه أن التعامل مع القرآن لا ينبغي أن يقتصر على حروفه وألفاظه الظاهرة، بل يجب الاهتمام بحقيقته الباطنية وأصله المخزون، لأن النص اللفظي ليس إلا تجلياً نازلاً لتلك الحقيقة الإلهية المتسامية.

المبحث الثالث : دلالة قوله تعالى: ﴿لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ في ضوء القراءة التفسيرية المعمقة

تعد آية "لا يمسه إلا المطهرون" من المواضع التي أظهرت تنوع المناهج التفسيرية واختلاف زوايا النظر إلى النص القرآني، حيث لم يقتصر فهمها لدى المفسرين على الجانب الفقهي المتعلق بلمس المصحف، بل ذهب بعضهم إلى تأويل أعمق يتجاوز المعنى الظاهري ليكشف عن دلالاتها المعرفية والوجودية. ومن هنا نشأة القراءات التفسيرية المعمقة ، وهي تنظر إلى الآية باعتبارها مرتبطة بحقيقة القرآن الكريم في مستواه الأعلى، وبأهلية الإنسان لتلقي هذه الحقيقة والوصول إليها من خلال العلم والإدراك.

ولتوضيح ملامح هذا الاتجاه في تفسير الآية، تم اختيار مجموعة من أبرز العلماء الذين تمثل آراؤهم ركائز في هذا المسار التفسيري، وهم: صدر المتألهين الشيرازي، والعلامة الطباطبائي، والسيد أبو القاسم الخوئي. ويعود سبب هذا الاختيار إلى أن هؤلاء، رغم اختلاف تخصصاتهم العلمية، يشتركون في توسيع نطاق دلالة الآية من المعنى الحسي المباشر إلى أفق معرفي أعمق، مع تفاوت بينهم في درجة الوضوح في التصريح بهذا المعنى، وفي الأسس التي بنوا عليها فهمهم لـ"المس" و"المطهرين", وبالتالي، فإن دراسة أقوالهم لا تقتصر على كشف تفسير مفرد لآية واحدة، بل تفتح الباب لفهم بنية هذا الاتجاه التفسيري، وحدوده، وأبرز مرتكزاته المعرفية والروحية.

اولا : دلالة قوله تعالى: ﴿لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ عند صدر المتألهين: من أبرز النصوص التفسيرية التي تجسّد هذا المنحى بعمق ما أورده صدر المتألهين في تفسير قوله تعالى: **﴿لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾** , إذ لم يكتفِ في فهم الآية بالتمييز بين المطهر والمتطهر، ولا بحصر معنى المس في الإدراك العقلي فحسب، بل

وسّع دلالتها توسعة وجودية، فجعل للقرآن مراتب متفاوتة، كما أن للإنسان درجات متعددة، ولكل درجة من درجات القرآن الكريم نوع خاص من المس، ولكل مس طهارة تليق به. وبهذا تتحول الآية عنده من دلالة على حكم أو معنى محدود إلى قاعدة تكشف عن التناسب بين مرتبة القرآن، ومرتبة الإنسان، ودرجة الطهارة المطلوبة لنيل تلك المرتبة من القرآن.

ولهذا السبب شبه صدر المتألهين القرآن بالإنسان، من حيث أن كليهما يحوي ظاهراً وباطناً، بل بواطن متعددة متراكمة ومراتب متصاعدة، فقال: ((إنّ القرآن كالإنسان المنقسم إلى سر وعلن، ولكلّ منها ظهر وبطنٌ، ولبطنه بطن آخر - إلى أن يعلمه الله - ولعلانيته علانية أخرى إلى أن تدركه الحواسّ)).(الشيرازي, 1987, 7 / 107).

في ضوء هذا التشبيه، يظهر أنه ينظر إلى القرآن كحقيقة متعددة المستويات: مستوى يدرك بالحواس والألفاظ والكتابة، ومستوى يرتبط بالحفظ والاستيعاب في القوى الداخلية، ومستوى يرتقي إلى المعنى المجرد الذي لا يصل إليه إلا من تجاوز عالم الحواس واتصل بعالم العقل، بل ومستوى يتجاوز عالم الخلق والأمر بأكمله.

بناءً على هذا الأساس، يميز صدر المتألهين بين الجانب الظاهري المادي للقرآن وجوانبه الباطنية المتعددة، اذ يجعل أدنى درجاته ما يتجسد في المصحف المادي الذي يمكن لمسه، كما يذكر في قوله:((أمّا ظاهر علَنه فهو المصحف المحسوس المَلموس، والرقم المنَقوش الممسوس)). (الشيرازي, 1987, 7 / 107).

ثم ينتقل الإنسان إلى مقام آخر، وهو مقام حضور القرآن في حس الباطن والخيال والحفظ، حيث يصف ذلك قائلاً: ((أمّا باطن علنه فهو ما يدركه الحسّ الباطن، ويستثبته القرّاء والحفّاظ في خزانة محفوظاتهم...)) (الشيرازي, 1987, 7 / 107).. وهذا المقام، رغم تفوّقه على مجرد الحرف والرسم، يظلّ أسير عالم الصورة والتجسيد، وليست بعدُ مرتبة الحقيقة القرآنية الصرفة.

أما فيما يتعلق بالمراتب الاعلى، فإن القرآن الكريم يبدأ فيها بالظهور كحقيقة عقلية روحية لا يمكن للحواس أو الإدراكات الجزئية الوصول إليها، بل تتطلب تخليص النفس ورفعها عن مشاغل المادة. لذلك يؤكد أن بعض درجات القرآن الكريم لا تستطيع الروح البشرية إدراكها إلا بعد أن تتحرر من علائق الحس وتتصل بعالم الأمر، حيث يقول: ((فالأولى ممّا تدركه الروح الإنسانيّة التي تتمكّن من تصور المعنى بحدّه وحقيقته، منفوضاً عنه اللحواق القريبة، مأخوذاً من المبادي الفعالة من حيث تشترك فيه الكثرة وتجتمع عنده الأعداد في الوحدة، ويضمحلّ فيه التخالف والتضادّ وتتصالح عليه الآحاد، ومثل هذا الأمر لا تدركه الروح الإنسانيّة ما لم تتجرد عن مقام الخلق، ولم تنفض عنها الحواسّ ولم ترتقِ إلى مقام الأمر متّصلة بالملأ الأعلى)) (الشيرازي, 1987, 7 / 107-108). وهكذا، لم يعد التلامس هنا تلامساً حسياً ولا مجرد حفظ أو تصور، بل أصبح تحصيلاً للحقيقة القرآنية وفق درجة التجرد الروحي والعقلي.

ومن هنا يربط صدر المتألهين بين مراتب القران الكريم ومراتب الطهارة , ويجعل قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ قانوناً عاماً يسري في جميع تلك المراتب، لا في مرتبة المصحف وحدها. ولذلك يصرّح بقوله: ((فإذا تقرّر هذا، ثبت أنّ للقرآن منازل ومراتب، كما للإنسان درجات ومعارج، فلا بدّ لمسِّ القرآن في كلّ مرتبة ودرجة من طهارة وتجرّد عن بعض العلايق)). (الشيرازي, 1987, 7 / 108).هذه العبارة تمثل محورًا أساسيًا؛ إذ تبرز جوهر رؤيته، وهي أن المس يختلف باختلاف من يُمس، والطهارة تتفاوت حسب درجة القرآن الكريم. فمس المصحف ظاهريًا يستوجب طهارة سطحية، بينما مس معاني القرآن الباطنة يتطلب طهارة نفسية وروحية، وأما مس منازله العليا فيحتاج إلى تجرد أعمق وأكثر كمالاً.

ثم يستعرض بناءً على ذلك الاحتمالات المختلفة لعودة الضمير في الآية "لا يمسه"، حيث يوضح أنه إن عاد إلى المصحف الموجود لدى الناس، فالمعنى منع لمس الكتابة أو المصحف لمن لم يكن طاهرًا من حدث أو نجاسة، ويكون المس هنا ماديًا والطهارة متناسبة مع هذه المرتبة الظاهرة. وإن عاد إلى الكتاب المكنون، فالمعنى أن اللوح المحفوظ لا يمسه أو يتصل به إلا من كان مجردًا من البشر أو الملائكة. وإن عاد إلى القرآن في حقيقته العليا المجملة، فالمعنى أن تلك المرتبة لا ينالها إلا المطهرون من عيوب الإمكان وآفات الحدوث، وهم كبار الأنبياء والمرسلين وأعظم الملائكة المقربين.

يتضح من هذا البيان أن صدر المتألهين لا يقتصر على معنى واحد للآية متجاهلاً تماماً بقية المعاني، بل يتأملها بوصفها آية ذات أفق دلالي واسع يشمل مستويات متعددة من المس والطهارة. فالمعنى الفقهي عنده

ليس منفياً بالكلية، ولكنه لا يمثل المقصد الوحيد، بل هو أدنى مستويات الدلالة، بينما ترتبط الدلالة الأعمق بطبقات القرآن المخفية وبأهل الطهارة الوجودية القادرين على الوصول إليها.

ومن هذا المنطلق، يمكن القول إن منهج صدر المتألهين في تفسير الآية يرتكز على ثلاثة أركان متشابكة:

أولها: التشابه بين القرآن والإنسان؛ فكلاهما يتمتع بظاهر وباطن، وطبقات متراكبة بعضها فوق بعض.

ثانيها: التناسب بين درجة القرآن ودرجة المتلقي؛ فلا يحصل كل فرد من القرآن إلا بقدر ما لديه من منزلة وجودية ومعرفية.

ثالثها: الترابط بين المس والطهارة؛ فكل مستوى من مستويات القرآن لا يُدرك إلا بطهارة تناسبه، بدءاً من الطهارة الحسية الظاهرة في أدنى المستويات، وصولاً إلى الطهارة الوجودية والعقلية والروحية في المستويات العليا.

وبناء على ذلك، يعتبر نص صدر المتألهين من أوضح النصوص في تأسيس الاتجاه المعرفي العميق لتفسير الآية؛ لأنه لا يفسر المطهرين تفسيراً لغوياً محضاً، ولا يحصر معنى المس في الإدراك المجرد، بل يرسي رؤية هرمية تجمع القرآن والإنسان والطهارة، تفضي إلى أن الفهم الكامل لحقائق القرآن، وإدراك مستوياته الباطنية، لا يتحقق إلا لمن بلغ درجة من التطهير والتجرد تتناسب مع تلك المستويات.

ثانيا: دلالة قوله تعالى: ﴿لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ عند السيد محمد حسين الطباطبائي

يرى الطباطبائي أن الآية ترتبط بقوله تعالى: ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾، حيث إن الحديث ينصب على القرآن في مرتبته السماوية، أي في الكتاب المكنون أو أم الكتاب، وليس على المصحف بوصفه مجرد أوراق مكتوبة.

ولهذا السبب، ربط بين آية سورة الواقعة وآية سورة الزخرف: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا... وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾.

فالمعنى هنا أن للقرآن مقامًا رفيعًا يسبق تنزله باللغة العربية، وأن المس في الآية يشير إلى تلك الحقيقة المخزونة في الكتاب المكنون, يقول ((والمعنى: لا يمسّ الكتاب المكنون الذي فيه القرآن إلا المطهرون أو لا يمس القرآن الذي في الكتاب إلا المطهرون. والكلام على أي حال مسوق لتعظيم أمر القرآن وتجليله فمسّه هو العلم به وهو في الكتاب المكنون كما يشير إليه قوله: { إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون وإنه في أُم الكتاب لدينا لعليٌ حكيم } [الزخرف: 3-4].)). (الطباطبائي، 1412هـ, 19/ 137).

ويقدم الطباطبائي تفسيراً لمفهوم "المُطَهَّرون" بأنهم أولئك الذين طهّر الله ذواتهم من الذنوب والعلائق والحجب، وليس فقط من يتحلون بالطهارة الفقهية المتعلقة بالحدث والخبث. ولهذا يرى أن الطهارة الأنسب للفظ "المسّ" هو العلم ان تكون الطهارة هنا هي طهارة النفس والقلب.

يتضح في ضوء كلامه أن التطهير لديه يحمل مستويين:

المستوى الأول هو التطهير من دنس المعاصي وقذارة الذنوب.

والمستوى الأعمق هو تطهير القلب من أي تعلق بغير الله.

وهذا المعنى بالغ الأهمية؛ لأنه يجعل الأهلية لفهم القرآن الكريم بعمق مرتبطة بالطهارة الروحية، لا بمجرد الإلمام اللغوي أو الحكم الفقهي وحده , اذ يقول:((والمطهرون - اسم مفعول من التطهير - هم الذين طهَّر الله تعالى نفوسهم من أرجاس المعاصي وقذارات الذنوب أو مما هو أعظم من ذلك وأدق وهو تطهير قلوبهم من التعلق بغيره تعالى، وهذا المعنى من التطهير هو المناسب للمسّ الذي هو العلم دون الطهارة من الخبث أو الحدث كما هو ظاهر. فالمطهرون هم الذين أكرمهم الله تعالى بتطهير نفوسهم كالملائكة الكرام والذين طهّرهم الله من البشر))(الطباطبائي، 1412هـ, 19/ 137).

ويرفض الطباطبائي حصر مفهوم المطهَّرين في الملائكة وحدهم، معتبراً أن هذا التحديد يمثل تقييداً دون مبرر, ويرى أن الآية تشمل ضمن هذا الوصف كلاً من الملائكة الكرام وأولئك البشر الذين شملهم التطهير الإلهي.

يستند في رأيه إلى آية التطهير التي تقول: "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً". فالمطهَّرون عنده يمثلون حالة وجودية لكل من نال هذه المرتبة من التطهير الإلهي، وليس اسماً لفئة محددة أو محصورة بشكل إلزامي. (الطباطبائي، 1412هـ, 19/ 137).

يرى العلامة محمد حسين الطباطبائي أن الآية الكريمة ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ ليست مجرد تشريع يتعلق بلمس المصحف باليد، بل هي إشارة إلى مكانة القرآن الكريم في مرتبته العلوية, فسياق الآية، جاء لتعظيم

شأن القرآن وبيان علو مقامه، وعليه فإن المقصود بـ"المس" هنا هو الوصول إلى حقيقة القرآن في ضوء المعرفة والإدراك، وليس التلامس الحسي, وقد صرح بقوله: ((فمسّه هو العلم به))، معتبراً أن "المس" يعبر عن الارتباط المعرفي بالحقيقة القرآنية المخزونة في عالم الغيب.

ويربط الطباطبائي هذا التفسير بقوله تعالى ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾، حيث يرى أن الآية تتحدث عن القرآن الكريم في حالته المحفوظة المستورة، أي في الكتاب المكنون. ويدعم رأيه بآية الزخرف: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾، معتبراً أن هذه المرتبة العالية التي تسبق مرحلة النزول بالعربية هي التي لا يدركها إلا المطهرون. وبناءً على هذا، فسر "المطهرين" بأنهم الذين طهر الله نفوسهم من الذنوب، وقلوبهم من التعلق بغير الله، لأن هذا النوع من الطهارة هو ما يناسب "المس" الذي هو العلم. وهكذا، تكون دلالة الآية عنده قائمة على أن للقرآن حقيقة مكنونة لا يصل إليها على حقيقتها إلا من بلغ درجة الطهارة الوجودية والروحية، سواء كان من الملائكة أو من البشر الذين منحهم الله التطهير(الطباطبائي، 1412هـ, 19/ 137)..

ثالثا: دلالة قوله تعالى: ﴿لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ عند السيد ابي القاسم الخوئي

يرى السيد الخوئي أن المقصود بالمس في الآية الكريمة ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ لا يشير إلى اللمس المادي للقرآن الكريم، بل نيل حقائقه وبواطنه وإدراك معانيه العميقة, وبناء على هذا التفسير فإنّ المقصود بـ ﴿المطهَّرون﴾ ليس المتطهّرين بالوضوء أو الغسل، بل هم الذين خصهم الله بتطهير خاص، وهم المعصومون من أهل البيت عليهم السلام، مستدلا بآية التطهير : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. ومن هذا يتضح أن الخوئي يقرأ الآية في إطار معرفي روحي، يجعلها ناظرةً إلى اختصاص إدراك حقائق القرآن وبواطنه بالمطهَّرين، لا إلى بيان حكم فقهي يتعلّق بمسّ ظاهر الكتاب, ويتبدى هذا التوجه بوضوح في تمييزه بين المطهر والمتطهر، حيث يشدد على وجود فرق دقيق بين الكلمتين ينتج عنه اختلاف جوهري في فهم الآية، وهو يقول ما نصه: ((إنّ المطهر غير المتطهر حيث إنّ الثاني ظاهر في من تطهر من الحدث بالوضوء أو الغسل أو من الخبث بغسله، وأما المطهر فهو عبارة عمن طهره اللَّه سبحانه من الزلل والخطأ وأذهب عنه كل رجس، والمذكور في الآية المباركة هو المطهر دون المتطهر ففيها إشارة إلى قوله سبحانه ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾...))،(في شرح العروة الوثقى، 3 / 293). يستند هذا النص إلى الأساس اللغوي الذي اعتمد عليه الخوئي في صياغة رأيه، حيث إن الآية، وفقاً لهذا التفسير، لم ترد بصيغة "لا يمسّه إلا المتطهّرون"، بل جاءت بصيغة **﴿المطهَّرون﴾**؛ الأمر الذي يجعله يعتبر اللفظ دالاً على طهارة إلهية اختيارية وليس على الطهارة من الحدث أو النجاسة كما هو معروف في الأحكام الفقهية.

وانطلاقاً من هذا التمييز اللفظي، انتقل الخوئي إلى تحديد المعنى المقصود من المسّ، ففسره بأنه إدراك عقلي وليس مجرد لمس حسي. وبالتالي، فإن المقصود عنده هو الوصول إلى معاني القرآن، وفهم دقائقه، وإدراك مستوياته الخفية التي لا يستطيع كل شخص الاطلاع عليها. ويؤكد هذا التفسير بعبارته التي يقول فيها:((معنى الآية على هذا أنّ مسّ الكتاب الذي هو كناية عن دركه بما له من البواطن لا يتيسّر لغير الأئمة المطهّرين فإنّ غير من طهّره اللَّه سبحانه لا يصل من الكتاب إلّا إلى ظواهره)) (في شرح العروة الوثقى، 3 / 293) فالمس في رأيه ليس فعلاً حسياً يمس حروف المصحف وخطوطه، بل هو وصول إلى مكنون القرآن ومراتبه الباطنه، وهذا لا يتحقق إلا لمن اختارهم الله وطهرهم.

وهذا المفهوم يتجلى بشكل أكبر عندما يوضح الخوئي أن الاستناد إلى الآية في تحريم لمس كتابة القرآن بدون طهارة غير صحيح في جوهره؛ فالآية في نظره لم تُنزل في سياق وضع حكم فقهي مباشر، بل في سياق بيان مكانة القرآن وخصوصية من يدرك حقيقته, فيقول: ((وهذا لا لقوله عزّ من قائل ﴿لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ لأنّ معنى الآية المباركة أنّ الكتاب لعظمة معاني آياته ودقة مطالبه لا ينال فهمها ولا يدركها إلّا من طهّره اللَّه سبحانه، وهم الأئمة (عليهم السلام) لقوله سبحانه: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ وليست لها أية دلالة على حصر جواز المس للمتطهر، لأنّ المطهَّر غير المتطهّر وهما من بابين، ولم يرَ إطلاق المطهر على المتطهر كالمغتسل والمتوضي في شيء من الكتاب والأخبار. على أن الضمير في يَمَسُّهُ إنّما يرجع إلى الكتاب المكنون وهو اللّوح المحفوظ، ومعنى أنّ الكتاب المكنون لا

يمسّه إلّا المطهّرون هو ما قدّمناه من أنّه لا يناله ولا يصل إلى دركه إلا الأئمة المعصومون (عليهم السلام)...)) (في شرح العروة الوثقى، 4, /474).

يكشف هذا النص عن عدة أسس مترابطة في تفسير السيد الخوئي:

أولاً: التركيز على التمييز بين المطهّر والمتطهّر، مما يمنع تفسير اللفظ بأنه يشمل كل من توضأ أو اغتسل.

ثانياً: تفسير المسّ كاستعارة عن الفهم والإدراك العقلي، وليس عن اللمس المادي.

ثالثاً: إعادة الضمير في كلمة "يمسّه" إلى الكتاب المكنون بدلاً من المصحف الخارجي، مما يدعم تفسير الآية على أنها تشير إلى مستوى باطني من القرآن لا على المصحف المتداول بين الناس.

رابعاً: عد الآية إخباراً عن حقيقة معرفية خاصة بالمطهّرين، وليس تشريعاً فقهياً يحدد شروط لمس الكتابة.

بناءً على ذلك، نجد أن الخوئي يعيد تناول هذا الجانب في مواضع فقهية متنوعة، مع تقديم تفصيل يبرز رسوخ هذا الأساس الفكري لديه, ومن الأمثلة على ذلك ما طرحه أثناء مناقشة مسألة المحرمات على الجنب، تحديداً عند تحليل الاستدلال بالآية القرآنية على تحريم مس كتابة القرآن، حيث عقب بقوله:((الآية المباركة لا دلالة لها على المدعى فإنّ المطهر غير المتطهر، لوضوح أنّ الثاني ظاهر في التطهر من الحدث الأصغر أو الأكبر والمطهر من طهره اللَّه من الزلل والخطأ، والمذكور في الآية المباركة هو الثاني دون الأوّل، ففيها إشارة إلى قوله سبحانه ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. ومعنى أنّه لا يمسّه إلّا من طهره اللَّه أنّه لا يدركه بما له من البواطن غير المعصومين (عليهم السلام) فالآية إخبار وليست بإنشاء، فإنّ غيرهم لا يدرك من الكتاب إلا ظاهره)) (في شرح العروة الوثقى، 6 /305).

هذا النص يؤكد من جديد الفكرة الأساسية في تفسيره، وهي أن الآية تتناول مكانة القرآن في بطونه، وتحدد أهلية المطهرين لتلقّي تلك البطون، دون أن تضع بنفسها حكما يتعلق باللمس المادي. كما يعزز هذا التوجه في حديثه عن المستحاضة، حيث يقول: ((مقتضى الأدلّة التي دلت على اشتراط المسّ بالطهارة والعمدة فيه قوله تعالى ﴿لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ بضميمة ما ورد في تفسيرها، لأنّها بنفسها لا تدلّ على ذلك، لأنّه من المحتمل بل الظاهر من ﴿الْمُطَهَّرُونَ﴾ هو مَن طهّرهم اللَّه سبحانه كما في قوله تعالى ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، والمراد بالمس فهم الكتاب ودرك حقائقه دون المسّ الظاهري لكتابته، إلّا أنّ الرواية فسّرتها بالمس الظاهري)) (في شرح العروة الوثقى، 140/8).

هذا النص له أهمية من ناحيتين:

الأولى: أنه يوضح بشكل صريح أن الآية وحدها لا تحمل دلالة على الحكم الفقهي الخاص بلمس كتابة القرآن الكريم.

الثانية: أنه يفسح المجال لاستنباط الحكم عبر الأحاديث المفسرة، وليس من المعنى الظاهري للآية بمفردها. وبهذه الطريقة، يوفق السيد الخوئي بين الفهم المعرفي للآية وبين الالتزام الفقهي بالحكم في ضوء الدليل الروائي.

بناءً على هذا، يمكن القول إن السيد الخوئي في تفسيره للآية يقدم قراءة تحول دلالة المس من الإطار الحسي إلى الإطار المعرفي، وتحول دلالة الطهارة من الطهارة الفقهية إلى الطهارة الاصطفائية الإلهية. وبالتالي، فإن الآية في رأيه لا تخاطب كل من يقرأ أو يمس المصحف، بل تخص فئة معينة اختارها الله لتلقي حقائق القرآن الكريم وبواطنه، وهم المطهرون من أهل البيت عليهم السلام, من هنا، تندرج قراءته ضمن الاتجاه الذي يرى أن الآية تشير إلى اختصاص الفهم الكامل والباطني للقرآن بالمطهرين، وأن غيرهم لا يحصل من القرآن إلا على معناه الظاهري، أما بواطنه وحقائقه المخفية فتبقى مقتصرة على من طهرهم الله تطهيرا.

خاتمة البحث:

١) أظهرت الدراسة أن الجذر اللغوي لكلمة "المس" يرتبط بمعاني اللمس والمباشرة والاتصال، إلا أن الاستخدام القرآني وسع هذا المفهوم، فلم يعد يقتصر على الإحساس الجسدي باليد، بل أصبح يشمل أشكالاً متعددة من التماس، سواء كانت مادية أو معنوية أو مزيجاً بينهما، بالإضافة إلى ما يتعلق بعوالم الغيب والآخرة. وبناءً على ذلك، فإن دلالة كلمة "المس" في القرآن الكريم أوسع من معنى اللمس، وأكثر قدرة على استيعاب أنماط التأثير والإصابة التي لا تقتصر على الجانب المادي.

٢) أظهر تتبع استعمال لفظ "المس" في القرآن، خاصة في ضوء تحليل حسن مصطفوي، أن الآية "لا يمسه إلا المطهرون" لا تقتصر على اللمس الحسي للمصحف فقط. فالدلالات اللغوية لهذا اللفظ في القرآن تتيح تفسيره بالمس المعنوي أو القلبي كذلك. هذا يفتح الباب لقراءة أعمق للآية، حيث قد يُقصد بها وصول المطهرين إلى جوهر القرآن الكريم وإدراك حقيقته، وليس مجرد ملامسة حروفه وخطوطه.
٣) بحث هذه الدراسة أن الآية الكريمة "لا يمسه إلا المطهرون" شهدت تنوعًا في القراءات التفسيرية، نتيجة لاختلاف المفسرين حول المقصود بالضمير في كلمة "يمسه"، وتفسير معنى "المس" و"المطهرون". ومن هذا التنوع نشأت ثلاثة تيارات رئيسية لفهم الآية: الأول تيار فقهي مادي يفسر المس بلمس المصحف ويعتبر الآية دليلاً على وجوب الطهارة، والثاني تيار غيبي يربط الآية باللوح المحفوظ والملائكة، والثالث تيار عميق يرى في المس إشارة إلى فهم جوهر القرآن والوصول إلى معانيه الخفية, ويظهر من هذا التعدد اتساع المعنى القرآني وقدرة الآية على استيعاب مستويات تفسيرية متعددة.
٤) اظهرت الآية إمكانية تفسيرها على نحوٍ أعمق يتجاوز المعنى الفقهي السطحي، ليصل إلى أبعاد معرفية ووجودية تتعلق بجوهر القرآن وأهلية فهمه , اذ بينت الاراء كل من صدر المتألهين والطباطبائي والخوئي أن التفسير المعرفي لهذه الآية يعتمد على توسيع مفهوم المس من اللمس الجسدي إلى الإحاطة بمعاني القرآن العميقة، وربط ذلك بنقاءٍ يمكّن من الوصول إلى مستوياته العليا من الفهم.

المصادر:

القران الكريم

١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد الطاهر. (1984). *التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*. تونس: الدار التونسية للنشر.
٢) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي. (1999). ***معجم مقاييس اللغة***. بيروت: دار الجيل.
٣) ابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد المقدسي. (1985). ***المغني***. دار إحياء التراث العربي.
٤) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري. (2003م). لسان العرب. بيروت: دار صادر.
٥) البغوي، الحسين بن مسعود. (1997). معالم التنزيل في تفسير القرآن (تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، ط4). دار طيبة للنشر والتوزيع.
٦) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين. (1997). ***مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)*** (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.
٧) الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق. (1424هـ). ***تاج العروس من جواهر القاموس*** (علي شيري، محقق، ط2). بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٨) شبر، عبد الله بن محمد رضا. (1966). ***تفسير القرآن الكريم (تفسير شبر)*** (تحقيق: حامد حفني داود، ط3). المطبعة والناشر: السيد مرتضى الرضوي.
٩) الشيرازي، محمد بن إبراهيم صدر الدين. (1987). ***تفسير القرآن الكريم*** (ط. 2). قم، إيران: بيدار.
١٠) الطباطبائي، محمد حسين. (1412هـ). ***الميزان في تفسير القرآن*** (ط5). قم: منشورات إسماعيليان، مطبعة إسماعيليان.
١١) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل. (1412هـ). ***معجم الفروق اللغوية*** (تحقيق: بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، ط1). قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين.
١٢) الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. (1420هـ/1999م). ***القاموس المحيط***. بيروت: دار الجيل.
١٣) المصطفوي، حسن. (1385هـ ش). ***التحقيق في كلمات القرآن الكريم*** (ط1). طهران: مركز نشر آثار العلامة المصطفوي.
١٤) موقع الشيخ ابن باز. (د.ت.). موقع الشيخ ابن باز. تم الاسترجاع في 7 يوليو 2026، من https://binbaz.org.sa/